

رجل دولة من طراز رفيع يترك بصماته في أماكن عديدة

عدنان الباجه جي

أيقونة الدبلوماسية العراقية



اصطدام الباجه جي بالثائمين والدينين في العراق كان أمرا محتوما. كما حين الغنى عبدالعزيز الحكيم، رئيس مجلس الحكم الأسبق، قانون الأحوال الشخصية، فاعاده الباجه جي فور توليه الرئاسة.



الباجه جي يحمل ميولا قومية عربية راسخة، حتى أنه يعتبر انضمامه إلى الفريق الذي كان يعمل في أبو ظبي، ووجوده في مباحثات وقيام دولة الإمارات جزءا من تلك العاطفة.

زيد بن رفاعة

يغلب على الظن أنه ما من شخص التقى أو عاشر الدبلوماسي العراقي عدنان الباجه جي، إلا وحمل انطباعا إيجابيا عنه، وود لو ينسج علاقة أوثق معه. فالرجل يمتلك كاريزما غير عادية، مؤثرة في الآخرين، وهي على ما يبدو طبع أصيل فيه وليست متكلفة.

ولد الباجه جي ببغداد العام 1923، في بيت مترف، قياسا بوضع العاصمة العراقية آنذاك. يوم كانت، وعلى حدّ عبارة الباجه جي نفسه، خالية من الرقي والمدنية، فالطرق غير معبدة، والماء يباع بأسقية الجلود، حتى أن العلبتين الجراحتين اللتين أجرينتا للصبى الباجه جي: قطع اللوزتين والختان، أجرينتا داخل البيت، وعلى مكتب والده، بعد فرشته بالرشاش، فلم تكن هناك خدمات طبية معقولة. لكن بغداد أخذت تقفز تدريجيا حتى أصبحت مدينة يُحسب حسابها بين المدن الراقية، وذلك من الثلاثينات وبعدها.

السني المتمدن

عندما عُيّن الأب بمنصب دبلوماسي العام 1936، ممثلا للعراق في عصبة الأمم المتحدة آنذاك، وسفيرا غير مقيم بإيطاليا، ظل قلقا على ولده، من أن يتركه مع دلال الأم والعمات والخالات، فأشار عليه بعض الأصدقاء، وهم من وزراء ورؤساء وزراء، أن يسجله في كلية فيكتوريا بالإسكندرية، فكان ذلك. ومن يومها تجر الباجه جي باللغة الإنجليزية، يتكلمها بطلاقة تامة، مع احتفائه بالعربية لغته الأم.

كان ترشيح الوالد أن يكون دبلوماسيا بطهران، لكن علاقته بالشيخ خزعل الكعبي جعلت الإيرانيين يرفضون تعيينه، فقد كان مزاحم الباجه جي على علاقة متينة بالشيخ خزعل، يوم لم تكن الطائفية شيئا مذكورا، فالكعبي كان شيعيا والباجه جي الأب سنيا، عمل معه وصار الأقرب إليه من بين المحيطين بمجلسه حين كان حاكما بالبحرمة.

ظل الوالد وفيما للكعبي، فحاول زيارته في معتقله بطهران، أو مقر إقامته الإيجارية، ليطمئن على أحواله، قبل أن يُقتل من قبل الشاه رضا بهلوي، وأشاعوا حينها أنه توفي، بعد أن غدر الشاه به عبر وليمة إقامتها، وأخذ معتقلا، وضمت الأرواح إلى إيران.

عُيّن الأب وزيرا للخارجية ورئيسا للوزراء، وكان من الأسرة أيضا حمدي الباجه جي رئيسا للوزراء أيضا، وفي هذه البيئة الأرستقراطية نشأ عدنان، لكنه ظل ذلك الإنسان الدمث والسيط على الرغم من قامته العالية في الوظيفة والتأثير داخل العراق وخارجه، فهو شخصية معروفة عالميا، لكونه أصبح وزيرا للخارجية أكثر من مرة، بعد ثورة 14 تموز، ثم ممثلا للعراق في الأمم المتحدة حتى العام 1969، حيث قدم استقالته، وظل

خارج العراق ولم يعد إلا بعد العام 2003. بعد رئاسته للوزراء في الأربعينات، كانت لوالده مشاكل مع رجال ذلك الزمان، فعندما سقط النظام الملكي، وشكلت محكمة الثورة بعد 14 تموز، استدعي كشاهد ضد رجال ذلك العهد، وتقدم بالشهادة، ما استغفر الكثير من أصدقائه ومعارفه، هذا ما قرأناه في "ذاكرة الوريث" للقاضي المعروف محمود خالص. لهذا لم يتشكل موقف ضد الباجه جي الأب ولا الأسرة، لكن عندما نقول إن الابن أصبح وزيرا للخارجية فهذا لا يعني أنه لم يكن أهلا لهذا المنصب، بل قد يُحسب من بين أفضل وزراء خارجية العراق.

مال الباجه جي للفكر القومي، وكان يعتقد أن عبدالناصر أهلا لتمثيل العرب، وتحقيق الوحدة العربية المرجاة، لكنه بقي يشير إلى سوء من حوله من الرجال. وظل يحمل تلك الميول القومية، حتى أنه يعتبر انضمامه إلى الفريق الذي كان يعمل في أبو ظبي، ووجوده في مباحثات وقيام دولة الإمارات هو جزء من تلك العاطفة، إضافة إلى التقدير العالي الذي كان يكنه للشيخ زايد آل نهيان، والذي اقترح أن ينضم إلى مجلس الوزراء في إمارة أبو ظبي.

أفاق أبو ظبي

وصل الباجه جي إلى أبو ظبي العام 1969، وكان بعد أن أصر على استقالته من تمثيل العراق في الأمم المتحدة، قد عُرضت عليه عدة وظائف في الأمم المتحدة وغيرها، ووافق أن يعمل في مؤسسة اقتصادية بجنيف، مستشارا في شأن دول الشرق المتوسط، وضمن عمله وصل إلى أبو ظبي، وزار دبي ملتقيا بالشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، وكان مكتبه ضمن ميناء دبي الصغير آنذاك، وكانت قضية الخلاف على منطقة البريمي قائمة،

الباجه جي والنهضة الصعبة

غير أنه وبعد أن باتت كفة الحرب لإسقاط النظام العراقي السابق هي الراجحة، أخذ ينحرف ضمن الأوساط التي كان الباجه جه على علاقة معها، فقد كانت تربطه صداقة مع أمير الكويت الحالي، الشيخ صباح الأحمد، عندما كان وزيرا للخارجية، وأوساط أوروبية وأميركية، وفي هذه الأجواء شكل حزب أو تيار "الوسط"، نحو العام 2000، وعقد مؤتمره بلندن، والقى محاضرة عن برنامج الوسط، ومن بينها أن يعتزل الرئيس العراقي، ومع إصدار عفو عام، وإجراء انتخابات تحت إشراف الأمم المتحدة، ويتم إطلاق السجناء ويسمح بعودة المهجرين إلى غير ذلك، لكنه، وغيره، اعتبروا أنفسهم إنما يتمنون، فالرئيس لم يخط خطوة نحو تسليم السلطة، وكذلك الأوساط العربية والعالمية لم تعر أي اهتمام لتلك التصورات.

وذلك الخلاف مع سلطنة عمان على الحدود، إلا أن الباجه جي كان من المؤيدين لنواظر ظفار بعمان، عندما كان وزيرا للخارجية بالعراق، وربما كان هذا بتأثير الشعور القومي الناصري. عاش وعمل في إمارة أبو ظبي، وهو يذكر مشاركته بتشكيل الاتحاد، والذي كان من المقترض أن يكون بين الإمارات التسع، إضافة إلى قطر والبحرين.

بيرو كيف ظل إلى جانب الشيخ زايد، الذي دعم القضية العراقية لاحقا عبر الباجه جي، في محاولته لتجنيد العراق للحرب، لكن حسب الباجه جه في مذكراته "في عين الإعصار" أن الجامعة العربية لم تقدم تلك المبادرة على طاولة مؤتمر القمة العربية، الذي عُقد قبيل غزو العراق، وكان أمين الجامعة حينها عمرو موسى.

في العراق أيضاً. وفي تلك التجربة كان عليه أن يخوض في مستنقعات بعيدة كل البعد عن طبيعته.

عندما نقابل بين شخصية مغمورة مثل غازي عجيل الياور وشخصية مشهورة دوليا مثل الباجه جي، سنستف على أوائل الإتهار في اختيار المناصب، فما حدث مع الباجه جي وهو عضو سياسي على بعضهم البعض. نشر البيان وأطلع عليه الدكتور الباجه جي وكان في الإمارات. اتصل بي غاضبا أشد الغضب وطلب إغلاق الجريدة على الفور وصرف كل العاملين. وللأمانة فقد أعطى العاملين في الجريدة كل حقوقهم وفقا لقانون العمل الذي يحكم أوضاع الصحافيين في أمثال هذه الحالات.

عندما دخل الباجه جي مجلس الحكم، بعد مجيء بول بريمر كحاكم مدني على العراق، وعقب إزاحة غارنر، كان يعتقد أن هناك مجالا لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، لكنه اصطدم بالثائمين والدينين، حتى أنه

عندما الغنى عبدالعزيز الحكيم، رئيس مجلس الحكم لشهر واحد، قانون الأحوال الشخصية، وكأنه جاء لهذه المهمة، أعاده الباجه جي عندما تولى رئاسة المجلس، لشهر أيضا. ويومها انسحبت القوى المتدنية من الاجتماع هروبا من التصويت، إلا أن موقف مسعود البارزاني كان لصالح إعادة العمل بالقانون، وهو القانون الذي صدر العام 1959.

شارك الباجه جي في الانتخابات، وصار عضوا في الجمعية الوطنية، ثم عضوا في البرلمان العام 2005، مع القائمة العراقية برئاسة إياد علاوي، وكان أكبر الأعضاء سنا، وعندما ألقى كلمته لافتتاح الجلسة الأولى احتج الحكيم رئيس الائتلاف الوطني الشيعي، وقال كلاما لا يليق أن يُقال بحق شخصية مثل الباجه جي. غير أن الأحوال أخذت تسير نحو الإتهار، بسبب شدة القتال، والتي اتهم الباجه جي بتأجيلها الجيش الأميركي ذاته، لشدة العنف الذي كان يمارسه.

صار الباجه جي يظفر إلى نفسه على أنه لا موقع له في هذه الزحمة الطائفية، ولا مكان لآرائه، فمضاه لا يقدر على البقاء في هذا الوسط، مع أن تمثيله للعراق كرئيس للجمهورية، كان الخيار الأفضل إذا ما كان هناك مشروع وطني.

بعدها ترك الباجه جي العراق، ولم يعد له صوت مسمع بعد أن تصاعد نغيب الغريان، والنزاع الطائفي، وزرع الميليشيات والجماعات التكفيرية داخل العراق، عاد إلى أبو ظبي، وعاش خلال مرضه الأخير بعناية فائقة، حتى وفاته. فرقاه الشيخ محمد بن زايد آل نهيان ولي عهد أبو ظبي في حسابه الخاص على تويتر قائلا "فقدنا اليوم رجلا عزيزا وصديقا وفيما، عمل مع الشيخ زايد بإخلاص منذ بدايات الاتحاد، وأسهم بخبرته وعطائه ومواقفه النبيلة في إيصال صوت الإمارات إلى العالم، رحم الله الدكتور عدنان الباجه جي وأسكنه فسيح جناته، والله أهله وذويه جميل الصبر والسلوان".

بالموضوع وأنا المشرف على الجريدة، أقول لك انشويه ونشر فعلا في الصفحة الأولى. انضح في ما بعد أنه كان انقلابيا من الداخل على رئيس التجمع. من جهة لم تكن لي أي علاقة بالتجمع، ولا علم لي بما كان يدور هناك من صراعات، ومن جهة أخرى لم تكن لي خبرة سابقة بانقلاب السياسيين على بعضهم البعض. نشر البيان وأطلع عليه الدكتور الباجه جي وكان في الإمارات. اتصل بي غاضبا أشد الغضب وطلب إغلاق الجريدة على الفور وصرف كل العاملين. وللأمانة فقد أعطى العاملين في الجريدة كل حقوقهم وفقا لقانون العمل الذي يحكم أوضاع الصحافيين في أمثال هذه الحالات.

بعد الغزو الأميركي للعراق وإعلان سقوط النظام، عاد الباجه جي إلى بغداد، بعد فراق خمسة وثلاثين عاما، ولم يرها كما تركها في نهاية الستينات، وهناك عادت به الذاكرة إلى تراث والده، وأنشأ صحيفة باسم "النهضة"، وهي الصحيفة التي كان يصدرها والده في العهد الملكي.

حاول الباجه جي الاستفادة من الكوادر السياسية والثقافية والصحافية، بعيدا عن الطائفية، فعمل معه مهدي الحافظ، وهو قيادي شيوعي سابق، وأصبح صاحب الامتياز للجريدة، وعند تشكيل الوزارة رشحه أن يكون وزيرا للتخطيط، غير أن "النهضة"، التي أصبحت مجاللا للفكر العلماني والمدني، سرعان ما أغلقت وبمؤامرة من الذين عملوا معه، والمسؤول المباشر عنها الحافظ ذاته، بينما كان الباجه جي يغطي كل نقائصها، وبهذا الخصوص نغمر على شهادة لرئيسة تحريرها الصحافية سلوى زكو.

كتبت تقول على صفحتها في الفيسبوك "شهادة للتاريخ: رحل الدكتور عدنان الباجه جي حاملا معه أسرار مرحلة فصلية من تطور الأحداث بعد 2003 بالعراق تغيرت بعدها أمور كثيرة واتخذت مسارها المعروف بعد ذلك. كيف أغلقت جريدة النهضة فجأة؟ صدرت جريدة النهضة لتعبر عن تجمع الديمقراطيين المستقلين، وهو كيان سياسي تأسس برئاسة الباجه جي وضمت طيفا متنوعا من السياسيين (الكتنوقراط). كان الدكتور مهدي الحافظ صاحب الامتياز وأسسها ورأس تحريرها الدكتور جلال المشاطة. تسلمت منه رئاسة التحرير بعد انتقاله إلى شبكة الإعلام العراقي. كان شرطي الوحيد ألا يتدخل أحد في عملي اليومي وفعلا لم يتدخل الراحل الدكتور عدنان ولا حتى الحافظ الذي أبلغت بانه المشرف على الجريدة". وتتابع زكو "كنت اطلبه أحيانا بإبداء ملاحظاته فيقول لي ما عندي وقت حتى لأقرأ الجريدة. كان يومذاك وزيرا للتخطيط يحاول أن يعيد ترتيب أولويات العمل في الوزارة. في إحدى الامسيات وكنا على وشك إغلاق الصفحة الأولى ومعى محرر الصفحة الأولى نصير النهر ومصمم الجريدة فلاح الخطاط وفي القسم الفني أحد الزملاء الخفر ينتظر اكتمال العمل في الصفحة الأولى. دخل الحافظ علينا فجأة ومعها المشاطة وبيد الأول بيان طلب مني نشره في الصفحة الأولى. القيت نظرة سريعة على البيان ولم أدقق كثيرا في تفاصيله لكنني لاحظت أنه يحمل توقيع بعض أعضاء التجمع، ولا يوجد اسم الباجه جي بينهم. سألته هل يعرف الدكتور عدنان بهذا الكلام؟ رد علي بأن الدكتور لا علاقة له

بالموضوع وأنا المشرف على الجريدة، أقول لك انشويه ونشر فعلا في الصفحة الأولى. انضح في ما بعد أنه كان انقلابيا من الداخل على رئيس التجمع. من جهة لم تكن لي أي علاقة بالتجمع، ولا علم لي بما كان يدور هناك من صراعات، ومن جهة أخرى لم تكن لي خبرة سابقة بانقلاب السياسيين على بعضهم البعض. نشر البيان وأطلع عليه الدكتور الباجه جي وكان في الإمارات. اتصل بي غاضبا أشد الغضب وطلب إغلاق الجريدة على الفور وصرف كل العاملين. وللأمانة فقد أعطى العاملين في الجريدة كل حقوقهم وفقا لقانون العمل الذي يحكم أوضاع الصحافيين في أمثال هذه الحالات.

تجربة الحكم في العراق

بعد أن انتهت أول تجربة لصحيفة كان بإمكانها مواجهة المد الديني والطائفي، إلى جانب تجربة صحيفة "المدى" البغدادية، والمستمر في الصدور، وصاحبها الصحافي فخري كريم. ولكن الباجه جي كانت لديه تجربته في العملية السياسية الجديدة

بعد أن انتهت أول تجربة لصحيفة كان بإمكانها مواجهة المد الديني والطائفي، إلى جانب تجربة صحيفة "المدى" البغدادية، والمستمر في الصدور، وصاحبها الصحافي فخري كريم. ولكن الباجه جي كانت لديه تجربته في العملية السياسية الجديدة



بعد أن انتهت أول تجربة لصحيفة كان بإمكانها مواجهة المد الديني والطائفي، إلى جانب تجربة صحيفة "المدى" البغدادية، والمستمر في الصدور، وصاحبها الصحافي فخري كريم. ولكن الباجه جي كانت لديه تجربته في العملية السياسية الجديدة